سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٦٣/ ١)

دروس رمضانية (١)

جواز التهنئة بقدوم شهر رمضان

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

د. مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

المُدرِّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

ألقاه فضيلته بعد عصر الاثنين، الأول من رمضان ١٤٤٥هـ

في مسجد بدري العتيبي بالمدينة النبوية

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس رمضانية (١): جواز التهنئة بقدوم شهر رمضان [١]

قال الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

إخواني: لقد نزل بنا هذا الضيف الكريم، والزائر الشريف العظيم، الذي نوَّه الله ﷻ به في كتابه، واهتمَّ به رسول الله ﷺ غاية الاهتمام، وحثَّ على القيام بحقوقه أُمَّتَه وأصحابه -رضي الله عنهم جميعًا-.

هذا الشهر العظيم هو الضيف الذي نزل بنا: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:١٨٥].

هذا الشهر العظيم فرض الله ﷻ صيامه، وسنَّ رسول الله ﷺ قيامه، وقد جاء ذلك في سُنَّته مُوَضَّحًا غاية التوضيح، وبيَّن -عليه الصلاة والسلام- العلة التي من أجلها لم يستمر في قيامه؛ حيث قام في أوله ثم توقف خشية أن يفرض على هذه الأمة فلا تستطيع القيام بذلك.

---

(١) ألقاه فضيلته بعد عصر الاثنين، ١ رمضان ١٤٤٥هـ في مسجد بدري العتيبي بالمدينة النبوية.

وقد كان -عليه الصلاة والسلام- يُبَشِّر أصحابه به، ويهنئهم به، وقد جاءت في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في التبشير بشهر رمضان، وكلها لا تخلو من مقال، وأكثرها المقال فيه شديد، والضعف فيه قوي، وأمثلها حديثان:

١- حديث أبي هريرة -رضي الله تبارك وتعالى عنه- الذي قال فيه لما حضر رمضان، قال رسول الله ﷺ: «**جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لله فِيهِ لَيْلَةٌ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**».

هذا هو حديث أبي هريرة ﷺ، وهو المُخرَّج عند الإمام النسائي، والإمام أحمد في «مسنده»، وابن أبي شيبة في «مصنفه»(١)، رحم الله الجميع.

وقد أُعِلَّ بالانقطاع بين أبي هريرة والراوي عنه؛ وهو أبو قِلابة الجرمي رحمه الله تعالى.

ومن أهل العلم من يُحسِّنه كما هو عند الجورقاني أو الجوزقاني في «الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير»(٢).

ومنهم من صحَّحه لشواهده كما ذهب إلى ذلك الشيخ ناصر رحمه الله ناصر الدين الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب»(٣).

وهذا الحديث الذي ذكرناه هو أمثل ما في الباب.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٨٩٩١)، والنسائي في «سننه» برقم (٢١٠٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه -دار التاج» برقم (٨٨٦٧).

(٢) (٢/ ١١١) برقم (٤٧٣).

(٣) (١/ ٥٨٥) برقم (٩٩٩).

٢- ويشهد له مثله حديث أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- وهو قريب منه في اللفظ، وضعفه يسير، قريب منه في اللفظ، وضعفه يسير، ولذلك قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ -الشيخ الألباني- عن حديث أبي هريرة: إنه صحيح لغيره لشواهده(١).

وعلى كل حال: هذا الحديث -حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وحديث أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه يعدان أصلاً في التهنئة بقدوم شهر رمضان، يعدان أصلاً في التهنئة بقدوم شهر رمضان، وأنها لا بأس بها.

وإنما أردنا هذا الكلام تقدمةً لما سيأتي من كلام على فضل هذا الشهر، أردنا هذا الكلام لبيان أنَّ قول من قال: إنه لم يثبت في التهنئة شيء عن رسول الله ﷺ! بل قال بعضهم: إنَّ الأحاديث الواردة في هذا كلها باطلة! هذا الكلام فيه نظر، وعند النظر والتحقيق لا يثبت هذا الكلام، وبإذن الله -تبارك وتعالى- هذا الخبر -حديث أبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه- ، ومثله حديث أنس -رضي الله تبارك وتعالى عنه- كلاهما يثبت بهما هذا الأمر؛ ألا وهو التهنئة بالشهر عند قدومه، فحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي قلنا لكم إنه مثل حديث أبي هريرة أو قريب منه في اللفظ، لفظه قال: «**دَخَلَ رَمَضَانُ**»، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ**» هو مثل الأول، ثم قال: «**وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ**»(٢).

والشاهد فيه: أنَّ النبي ﷺ كما قال أنس: قال لأصحابه حين دخل رمضان؛ مُنَوِّهًا بهذا الشهر، وفضله، ومُبَشِّرًا لهم به.

---

(١) ينظر: «تمام المنة في التعليق على فقه السنة» (ص٣٩٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم (١٦٤٤).

وحينئذٍ: فالتهنئة والبشارة للمسلمين أو بين المسلمين بعضهم لبعض لا بأس بها؛ لما جاء في هذين الحديثين، وهما أمثل ما ورد في الباب.

وكيف لا يُهَنَّئ برمضان وهو موسم الخيرات وشهر الطاعات، فيه يتنافس المتنافسون، وفيه يتسابق المتسابقون، وقد يسَّر الله ﷻ فيه على عباده المؤمنين الطالبين للخير والساعين إليه يسَّر لهم الأسباب، وأزال عنهم العوائق التي تمنعهم من التسابق إلى الخيرات، والمسارعة في الطاعات، والازدياد منها، فهذا فضل من الله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨].

وإذا كان الأمر كذلك؛ فلا ينكر على مَن هنَّأ أخاه بشهر رمضان وقال له مُهنِّئًا: الشهر عليك مبارك، أو شهر مبارك، أو مبارك عليكم الشهر، فهذه ألفاظ رسول الله ﷺ.

ولكن الذي ينكره أهل العلم إنكارًا بالغًا: أن يقول بعضنا لبعض: كل عام وأنتم بخير، فهذا لم يَرِد في السُّنَّة، وليس هو بوارد عن أحد من سلف الأمة، وإنما يُكتفى بأن يقال: بارك الله لنا ولكم في الشهر، أو الشهر مبارك، أو جعل الله الشهر علينا وعليكم مباركًا، وهكذا، فمثل هذا هو الذي جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وقد ورد في هذا الباب نحوًا من عشرة أحاديث، اخترت لكم أمثلها، وأحسنها، وأخفها ضعفًا، والمراد بالضعف هنا الضعف القابل للانجبار الذي يكون حسنًا -إن شاء الله- إذا ورد معه الشاهد، وضُمَّ إليه.

فهذان الحديثان أمثل ما ورد في هذا، وعليه؛ فالذي ينكر على المسلمين التهنئة فيما بينهم بقدوم شهر رمضان أو التبشير به؛ هذا الذي يقال إنَّ في كلامك نظر، نعم.

وهذا الشهر كما جاء في حديث أبي هريرة: «**تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ**»، والرواية الأخرى: «**أَبْوَابُ الجَنَّةِ**».

وأصل حديث أبي هريرة في «الصحيحين» متفق عليه: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»، فأصله في «الصحيحين»(١)، ولكن بالبشارة بلفظ: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ**» هذا موجود عند النسائي في «سننه»، والإمام أحمد، وابن أبي شيبة أيضًا في «مصنفه».

وعلى كل حال: فالتبشير برمضان والتهنئة بقدومه فيما بيننا على نحو ما ذكرنا لا بأس به.

وقوله -عليه الصلاة والسلام -: «**شَهْرٌ مُبَارَكٌ**» نَعم هو شهر مبارك؛ لما فيه من كثرة الخيرات، وأنواع الطاعات؛ ففيه قراءة القرآن، وفيه الصلاة؛ صلاة القيام، وفيه الذكر، والدعاء، وفيه الصدقة، وغير ذلك من أنواع الطاعات التي يتسابق إليها أهل الإسلام في شهر رمضان بما لم يكن منهم في غيره، أهل الإسلام أهل خير، والخير في أمة محمد ﷺ، لكن إذا جاء رمضان رأيت منهم النشاط، النشاط في الصلاة، والمحافظة عليها، رأيت فيهم النشاط، والمسارعة إلى قيام الليل، صلاة التراويح، والتهجد، إذا جاء رمضان رأيت فيهم البذل، والإحسان، والمسابقة إلى تفطير الصائمين، وإطعام الجائعين، وتفقُّد المساكين، فهذا يزيدون فيه في رمضان نشاطًا، ويظهر ذلك جليًا للناس، يرونه بعضهم من بعض رؤية العيان.

فقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ**» يعني الجنة.

وما تفتيح أبواب الجنة -معاشر الأحبة- إلا لكثرة أعمال البر في رمضان، فباب الصيام باب عظيم يفتح لك أبوابًا عديدة من الطاعات، فالصيام وحده له باب خاص في الجنة أو يُدخل منه إلى الجنة اسمه «باب الريان»، لا يدخله إلا الصائمون، فإذا دخلوا أُغلِق ذلك الباب، وفيه أيضًا من هذه الخيرات ما يجعلها سببًا لدخول العبد الجنان.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٢٧٧)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٧٩) بنحوه.

وفيه تغليق أبواب النار، وإغلاق أبواب النار بعكس أبواب الجنة؛ وذلك لقلة أسباب دخولها، قلة دواعي دخولها، أو انعدامها في هذا الشهر، يقل ما كان من المعاصي في غير رمضان، يقل في رمضان أو يكاد ينعدم؛ وذلك لأنَّ الصيام يقضي أو يضعف الشهوة، فتجد الإنسان حينئذٍ منجذبًا إلى الطاعة، بعيدًا عن المعصية، ضعيفًا عنها، فلا يوجد في نفسه داعٍ لها، لأنه يحرص على صيامه، ويحرص على صونه مما يفسده، لأنَّ الصوم جُنَّة، والجُنَّة هي التُّرس الذي يُتَّقى به ضرب المقاتل لك، فهكذا الصيام يُتَقَّى به النار، فهو جُنَّة بيننا وبين النار، فيحرص المسلم على ألا يُخَرِّق هذه الجُنَّة، فلهذا كانت دواعي الشر في رمضان في نفوس الناس قليلة جدًا، فلأجل هذا فُتِّحت أبواب الجنان؛ لكثرة أسباب دخولها، وغُلِّقت أبواب النار رحمة من ربنا بنا؛ لقلة أسباب دخولها، أو لانعدامها.

وهكذا: أعاننا الله ﷻ فيه على أنفسنا بتصفيد مردة الشياطين، ومردة الشياطين هم عُتَاتهم أو رؤوسهم الذين يكيدون الناس، فلا يخلصون منهم في رمضان إلى ما كانوا يخلصوا إليه منهم في غيره، فتضعف حينئذ وساوس إبليس، وتضعف دواعي الشر في نفوس الناس؛ وذلك بحبس عدوهم عنهم، فهذه نعمة من الله -تبارك وتعالى معاشر الاحبة- أن يسَّر لنا أسباب الخير، وأغلق عنَّا أبواب الشر، ثم حبس عنا الدعاة إلى الشر، فتح لنا أبواب الخير، ويسر أسبابه، وأغلق عنَّا أبواب الشر وحبس دعاته، فهذه أربعة أسباب كلها معينة على الطاعة والمسابقة إليها في هذا الشهر، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من المسارعين إلى الطاعات، والمتسابقين في فعل الخيرات، والمنجمعين عن المعاصي والشهوات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفيه: ليلة خير من ألف شهر؛ هي ليلة القدر -يا معاشر الأحبة-، هذه الليلة في هذا الشهر العظيم كما نوَّه الله ﷻ بذكرها حينما ذكر نزول القرآن فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ يعني

القرآن ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان:٣-٤]، هذه الليلة المباركة المبهمة هنا جاءت مُفَسَّرة في سورة كاملة وهي سورة القدر، قال الله ﷻ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ [القدر:١-٢]: تفخيمًا لشأنها، وتعظيمًا لمنزلتها، وبيانًا لرفعة مكانتها عند الله -تبارك وتعالى-.

ثم قال مبينًا ذلك: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر:٣]: ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، فهذه الليلة قيامها والعبادة فيها خير من القيام والعبادة في ألف شهر التي تعدل ثلاثًا وثمانين سنة، ثلاث وثمانين سنة قيام هذه الليلة يفضل قيام ثلاث وثمانين سنة، فانظر إلى هذا الفضل العظيم -يا عبد الله-؛ وما ذلك إلا من رحمة الله بنا، فلما كانت هذه الأمة أمة النبي محمد ﷺ أقل الأمم أعمارًا؛ أعطاها الله من الأعمال القليلة ما يعادل الأعمار الطويلة، أعطاها الله من الأعمال في الأوقات القليلة ما يعادل العمل، بل يفضله في الأوقات والأعمار الطويلة، فهذه نعمة من الله، فالله ﷻ إذا جاء في جانب النقص فإنه يُعَوِّض عباده المؤمنين في الجانب الآخر أو في جوانب أخرى، فمما عوضنا الله به -يا معاشر الأحبة- عن طول الأعمار فضل الأعمال في مثل هذه الأوقات، فهذه الليلة قيامها أفضل من قيام ثلاث وثمانين سنة، فانظر إلى نفسك كم رمضان تعيش! وعُد كم ليلة قدر تدرك فتقوم! فالموفق مَن وفَّقه الله للقيام في هذه الليلة، والمحروم فعلاً من حُرم قيام هذه الليلة، كما قال النبي ﷺ، ومن حرمها فهو المحروم، المحروم حقًا من الأجر، والثواب العظيم.

فنسأل الله ﷻ يا إخوتي -بأسمائه الحسنى وصفاته العلا- أن يجعلنا وإياكم جميعًا من المسابقين إلى الطاعات، والمسارعين إلى الخيرات، والمنجمعين والمنكفين عن المعاصي والسيئات.

كما نسأله ﷻ باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى نسأله -سبحانه- أن يبلغنا كماله كما بلغنا هلاله، نسأله -سبحانه- كما بلغنا هلاله أن يبلغنا كماله، وأن يعيننا وإياكم فيه على الصيام والقيام، وأن يوفقنا وإياكم فيه لاغتنام الساعات، وأن يجعلنا وإياكم فيه من المقبولين، وأن يرحم والدينا ووالديكم ومن لم يعد عليهم هذا الشهر، إنه جواد كريم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وصلَّى الله وسلَّم على بقية الأنبياء أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين».

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي الثَّانِي مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَامَ خَمْسَةٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ